نفي إثبات عقيدة التّثليث من القرآن الكريم
من خلال ضمائر الجمع التي يستدلّ بها النّصارى على التعدّد في القرآن الكريم

نور الإيمان حداد

ملخص:

تمثل عقيدة ألوهية المسيح العمود الفقري الذي يقوم عليه فهم النّصارى لعقيدتهم في التّثليث و التّي تقول بألوهية الأب والابن والروح القدس، والابن هو الأقنوم الثاني المتحد النّاسوت عن طريق التجسد الذي كان بواسطة الأقنوم الثالث «روح القدس»، وزعم بعض النّصارى أنّ القرآن يؤكّد على ألوهية المسيح عليه السلام، وحملوا آيات من القرآن الكريم مالا تحتمل من المعاني، فمن بين تلك الادعاءات التي قالوا أن القرآن الكريم يؤكد فيها عقيدة التّثليث: هي ضمائر الجمع التي تحدّث الله بها عن نفسه في القرآن الكريم، ولكن هذا لا يؤيد بأي وجه من الأوجه ألوهية المسيح عيسى عليه السلام، ولا تدل على الثالوث وإن تعبير القرآن الكريم بها دال على قدرته تعالى وتصريفه في خلقه وعظمته ولا شريك له ولا مثيل له وهو مليك كل شيء.

Abstract :

The Doctrine of Christ's deity represents the backbone of the Christian understanding of their faith in the Trinity and divinity of the father and the son and the Holy Spirit, and the son is the second person of deity United through the incarnation was the third person by the "Holy Spirit", and some Christians claimed that the Quran confirms the divinity of Christ, and carried verses from the Quran at the Brook of meanings, among them allegations that they said the Quran confirms the doctrine of Trinity: the consciences of the plural that God spoke about himself in the Quran, but this does not support in any way The facets of the deity of Christ Jesus (Peace be upon him), and does not indicate the Trinity and the expression of the Holy Quran by Almighty ability and discharge in the creation and greatness and no partner and no like him.

تمثل عقيدة الوهية المسيح العمود الفقري الذي يقوم عليه فهم النصارى لعقيدتهم في التثليث و التي تقول بإلوهية الآب والابن والروح القدس، وهو الأقنوم الثّاني و المتّحد بيسوع النّاسوت عن طريق التجسّد الذي كان بواسطة الأقنوم الثّالث أي روح القدس. وراحوا يؤكّدون ذلك من كتبهم المقدّسة بل وزعم بعض النّصارى أنّ القرآن كذلك يدل على ألوهية عيسى عليه السلام، وحملوا آيات من القرآن الكريم مالا تحتمل من المعاني، وقبل أن نتطرق إلى تلك الآيات وجب علينا التّعريف بألوهية المسيح والذي يعتبرونها الصخرة التي يرتكز عليها الإيمان المسيحي ككل، والإيمان بلاهوت المسيح هو إيمان الكنيسة منذ ولادتها والسيد المسيح هو الله الظاهر في الجسد، ولقد جعل الإيمان بالابن شرط نوال الحياة الأبدية لأن الإيمان بالابن هو الإيمان بالله المتجسد من أجل الخلاص[1]، وإنّ أوضح تعبير وأكمله عن لاهوت المسيح موجود في القانون النيقاوي الذي تمت صياغته أصلا في مجمع نيقية 325م[2].

ولم يكتفِ النصارى بنصوص الكتاب المقدس لإثبات ألوهية المسيح بل تعدوا إلى آيات القرآن الكريم وحملوا آياته مالا تتحمل من المعاني، وقالوا إنهّا تشهد للمسيح بألوهيته وبالتّثليث، وسنتطرق لتلك الآيات القرآنية الخاصة بالحديث عن ألوهية المسيح معتمدات على تفاسير القرآن الكريم و ردود العلماء المسلمين، فمن بين تلك الادعاءات التي قالوا أنّ القرآن الكريم يؤكدها:

1. ضمائر الجمع التي تكلم الله بها عن نفسه في القرآن تدل على ألوهية المسيح

فيقول المنصّرون عن ضمائر الجمع التي تكلم الله بها عن نفسه في القرآن أنّها تدل على ألوهية المسيح عليه السلام لأنّها تدل على أن الإله ثلاثة أشخاص منهم: المسيح عليه السلام فقد كان النصارى يقولون عن عيسى عليه السلام هو الله، ويقولون هو ولد الله، ويقولون هو ثالث ثلاثة و يحتجون بأنه ثالث ثلاثة بقول الله: (فعلنا،

1. حلمي القمص يعقوب: الوهية المسيح ، كنيسة القديس مار مرقس الرسول، ط 1، دس، ص 8.
2. جوش ماكدويل و بارت لارسون: حقيقة لاهوت يسوع المسيح، د م، ص 90.

وأمرنا، وخلقنا، وقضينا) فيقولون لو كان الله واحدًا ما قال إلا (فعلتُ، وقضيتُ، وأمرتُ، وخلقتُ) ولكنه هو وعيسى ومريم[1]. وقد بلغ الجهل بالنّصارى في بدعهم هذه أنّهم يقصدون إلى ألفاظ في التوراة وفي كتب الأنبياء متحملة، يحملونها على ظنونهم السّيئة وبدعهم هذه الفاحشة ... وحتى تعدوا إلى القرآن. قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾[2] قالوا هذا خطاب من جماعة لا من واحد ... فيقولون أنّ محمد قد جاء بالنّصرانية وبمذهبها لكن أصحابه لم يفهموا عنه[3] كما احتجوا على الرسول ﷺ بقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾[4] وكذلك العديد من الآيات التي أتت بصيغة الجمع والتي اعتمدها المنصرون لإثبات دعواهم والّتي سنتطرق لبعض منها لاحقًا.

*** ضمائر الجمع في الكتاب المقدس:**

كثيرًا ما يعتمد المنصّرون على أسلوب التّشبيه و الإسقاط لألفاظ القرآن الكريم على الكتاب المقدس وهذا لكي يوهموا القارئ المسلم أنّ القرآن أخذ من الكتاب المقدس لأنّه متأخّر زمنيًا عنهم وأنّه يتّفق معه في إسناد الفعل والضّمير المتكلم في صيغة الجمع إلى الله، والمبتغى من وراء هذا أنّ القرآن والكتاب المقدس تارة يعبر فيها عن ذات الله تعالى بالاسم المفرد كلفظ الله ولفظ رب وتارة يعبّر عنها بضمير الجماعة أو نون العظمة مثل ما جاء في سفر التكوين: **[وَقَالَ اللهُ: «نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا»]**[5] وكذلك قال: **[هُوَ ذَا الإِنْسَانُ قَدْ صَارَ كَوَاحِدٍ مِنَّا عَارِفًا الْخَيْرَ وَالشَّرّ]**[6] فقد قال منا و هو ضمير جماعة[7]، وبهذا نجد كيفية تلاعب المنصرين بالألفاظ وكيفية افتراءهم على القرآن الكريم.

1. علي بن عتيق الحربي: افتراءات المنصرين على القرآن، ص22.
2. القدر: 1.
3. القاضي عبد الجبار: تثبيت دلائل النبوة، تح: عبد الكريم عثمان، دار العربية، بيروت، د ط، د ت، ص 115، 116.
4. الحجر: 9.
5. تكوين1: 26.
6. تكوين3: 22.
7. عبد الرحمن الجزيري: أدلة اليقين في الرد على مطاعن المبشرين، ص 219.

2. نفي الوهية المسيح من القرآن الكريم

بعد أن عرضنا ما يقوله المنصّرون عن آيات القرآن الكريم وأنّها حجة على المسلمين بأنّها تدل على ألوهية المسيح وجب علينا عرض تفسيرها وذلك بالرجوع إلى كتب تفسير القرآن الكريم لنفهم معنى ومقصود الآيات، ومن بينها تفسير الشّعراوي للآية في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾﴾[1] يقول: حين يتحدث الحقّ سبحانه عن فعل من أفعاله، ويأتي بضمير الجمع، فسبب ذلك أن كل فعل من أفعاله يتطلب وجودَ صفات متعددة يتطلب علماً، وحكمة، وقدرة، وإمكانات، ومَنْ غيره سبحانه له كل الصفات التي يفعل ما يشاء وقْتَ أن يشاء؟ لا أحد سواه قادر على ذلك، لأنّه سبحانه وحده صاحب الصّفات الذي يقوم بكل مطلوب في الحياة ومُقدَّر، لكن حين يتكلم سبحانه عن الذات، فهو يؤكد التّوحيد فلا تأتي بصيغة الجمع، يقول تعالى: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾﴾[2] وهنا يتكلم سبحانه بأسلوب يعبر عن أفعال لا يَقْدر عليها غيره بالدقة التي شاءها هو سبحانه فيقول: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾، وحدد سبحانه أنه هو الذي يقصُّ، وإذا وُجِد فعل لله فنحن نأخذ الفعل بذاته وخصوصه ولا نحاول أن نشتق منه اسماً نطلقه على الله إلّا إذا كان الفعل له صفة من صفاته التي عَلِمْناها في أسمائه الحسنى، لأنه الذّات الأقدس.

وفي تفسير الرازي للآية في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، فأما قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾، فهذه الصّيغة وإن كانت للجمع إلّا أن هذا من كلام الملوك عند إظهار التّعظيم فإن الواحد منهم إذا فعل فعلًا أو قال قولاً قال: إنا فعلنا كذا وقلنا كذا فكذا ههنا، وعندما نعود لتفسير الشنقيطي للآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ

1. يوسف: 3.
2. طه: 14.

فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ فإننا نجده يفسرها على النحو التالي: إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ، أي القرآن المقروء، والضّمير المتصل في إنَّا أنزلناه مستعمل للجمع وللتعظيم ومثلها نحن وقد اجتمعا في قوله تعالى: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ ، والمراد بهما هنا التعظيم قطعًا لاستحالة التعدّد أو إرادة معنى الجم، فقد صرّح في موضع آخر باللّفظ الصّريح في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ﴾[1]، والمراد به القرآن قطعاً، فدلّ على أن المراد بتلك الضمائر تعظيم الله تعالى وقد يشعر بذلك المعنى وبالاختصاص تقديم الضمير المتصل «إنا»، وهذا المقام مقام تعظيم واختصاص لله تعالى سبحانه ومثله: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ ﴾[2] وقوله: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا ۝١ ﴾[3]، وقوله: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ﴾[4] وإنزال القرآن منة عظمى وقد دلّ على تعظيم المنة وتعظيم الله سبحانه في قوله: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٢٩ ﴾[5] فقال: كتاب أنزلناه بضمير التعظيم، ثم قال في وصف الكتاب مبارك، والواقع أنه جاءت الضمائر بالنسبة إلى الله تعالى بصيغ الجمع للتعظيم وبصيغ الإفراد فمن صيغ الجمع ما تقدم، ومن صيغ الإفراد قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[6]، وقوله: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۝٧١ ﴾[7]، وقوله: ﴿إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[8]. ويلاحظ في صيغ الإفراد أنّها في مواضع التعظيم والإجلال، كالأول في مقام خلق البشر من طين، ولا يقدر عليه إلا الله والثّاني في مقام أنّه يعلم ما لا تعلمه الملائكة، وهذا لا

1. الزّمر: 23.
2. الكوثر: 1.
3. نوح : 1.
4. ق : 43.
5. ص29.
6. البقرة: 30.
7. ص: 71.
8. البقرة: 30.

يكون إلا لله سبحانه فسواء جيء بضمير بصيغة الجمع أو الإفراد ففيها كلّها تعظيم لله سبحانه وتعالى سواءً بنصّها وأصل الوضع أو بالقرينة في السياق[1].

وبعد الرجوع إلى التّفاسير نجد أغلبها تفسر نون الجمع على أنّها نون للعظمة وهذا لما يليق للذات الإلهية من عظمة ووقار، وأنّها لا تدل لا على ألوهية المسيح أو ثلاث آلهة وعند الرجوع إلى كتب ردود علماء المسلمين فإنّنا نجدها لا تختلف نهائيًا عن ما جاء في كتب التفاسير في نفيها لألوهية المسيح والتثليث ومن بين هؤلاء العلماء نجد ابن تيمية يرد على هذا الافتراء بقوله: إِنَّا نَحْنُ لفظ يقع في جميع اللّغات على من كان له شركاء وأمثال وعلى الواحد المطاع العظيم الذي له أعوان يطيعونه وأنّ لم يكونوا شركاء ولا نظراء، والله تعالى خلق كل ما سواه فيمتنع أن يكون له شريك أو مثيل والملائكة وسائر العالمين جنوده تعالى، فإذا كان الواحد من الملوك يقول: «**أنا ونحن**» ولا يريدون أنّهم ثلاثة ملوك فالملك الملك رب العالمين ورب كل شيء ومليكه هو أحق بأن يقول: «**أنا ونحن**» مع أنّه ليس له شريك ولا مثيل بل له جنود السّماوات و الأرض[2]، وقال في هذا الشّيخ أحمد ديدات أنّ المسيحيين أساءوا فهم كلمة «**صُورَتِنَا**» بالإضافة إلى ضمير المتكلم في فعل «**نَعْمَلُ**» في الفقرة المقتبسة من سفر التكوين [**نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا**][3] يقتضي وجود اتحاد أقانيم «**الأب والابن والروح القدس**» فيما يسمونه الثّالوث المقدس، إنّه يعتذر عليهم إدراك أنّ ثمة نوعين من الجمع في اللّغة العبرية اللّغة التي كتبت بها نصوص العهد القديم، كما هو الحال بالنّسبة الى اللّغة العربية، فهناك جمع للعدد بالإضافة إلى جمع للإجلال و الاحترام[4]، ويعتمد النّصارى في

1. محمد الامين بن محمد بن المختار الجنكي الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر، دط، 1995، ج9، ص30.

2. ابن تيمية : «الجواب الصحيح « تح: على بن حسن بن ناصر، دار العاصمة، د ب، ط2، 1999م، ج3، ص448.

3. تكوين 1 : 26.

4. أحمد ديدات: أساقفة كنيسة انجليترا وألوهية المسيح، ترجمة: محمد مختار، المختار الإسلامي،

اعتقادهم بالتثليث و ألوهية المسيح على فقرة في إنجيل متى عن المسيح أنّه قال لتلاميذه: **[فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ]**[1] ويقول القاضي عبد الجبار في هذا أن: «ليس المسيح أول من كذب عليه...»[2].

وهكذا نوضح بطلان ألوهية المسيح وما يندرج تحتها من قول بالتثليث، وكذلك افتراء المنصرين على القرآن الكريم وأنّهم ليس لهم أي مستند أو دليل على ذلك، وصدق الله إذ يقول: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ ٧٣﴾[3]. والمسيح ما هو إلّا رسول والإنجيل نفسه يكذب افتراءاتهم وأمّا بطرس تلميذه شهد على ذلك بقوله: **[أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِسْرَائِيلِيُّونَ اسْمَعُوا هذِهِ الأَقْوَالَ: يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ رَجُلٌ قَدْ تَبَرْهَنَ لَكُمْ مِنْ قِبَلِ اللهِ بِقُوَّاتٍ وَعَجَائِبَ وَآيَاتٍ صَنَعَهَا اللهُ بِيَدِهِ فِي وَسْطِكُمْ، كَمَا أَنْتُمْ أَيْضًا تَعْلَمُونَ]**[4]، وأنّ جميع الآيات التي اعتمدها المنصرون لإثبات ألوهية المسيح ليس فيها أي معنى يدل على ذلك، و إنّما تدل على عظم وإجلال الله الواحد العظيم.

د ط، د ت، ص10.
1. متى 28: 19
2. القاضي عبد الجبار: تثبيت دلائل النبوة، ص114.
3. المائدة: 73.
4. أعمال الرّسل :2: 22.